Language Art, 4(3): pp. 47-68, 2019, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2019.15 DOR: 98.1000/2476-6526.1398.4.47.12.3.1575.32
فصلنامه هنر زبان، دوره ۴، شماره ۳، سال ۲۰۱۹، از صفحه ۴۷ تا ۶۸

زعموا أن سوسير بنيوي!

الدكتور مبارك حنون[1]
أستاذ كلية الآداب والعلوم- قسم اللغة العربية - جامعة قطر

(Received: 19 May 2019; Accepted: 13 July 2019; Published: 30 August 2019)

ملخص
ننطلق في هذا البحث من فرضية تقضي بأن سوسير ليس بنيويا، وبأن عمله يندرج في سياق تأسيس لسانيات عامة تحيط بالظاهرة اللغوية بما يلزم من احتياطات منهجية وتصورية. وتستند هذه الدراسة إلى مجموعة من العوامل المرتبطة ببرنامجه البحثي وبالأسس الفكرية التي يمتح منها، وبحجج مستمدة من بنية عمله في تمامه، وبفهم نظام الثنائيات وعمله وتوظيفه في السجال السوسيري، وطبيعة اللغة المعقدة والمتأرجحة بين النظام والفوضى، ونوعية المناخ الفكري ومميزاته، وخصوصيات نشر أعماله، وتناسل التأويلات والقراءات المتدافعة العائدة إلى خلفيات فكرية وإيديولوجية. وقد التمسنا لهذه الدراسة مسارا تحليليا شموليا ونقديا أقدرنا على تأكيد رأينا القاضي بأن سوسير كان وراء تأسيس كل المدارس اللسانية، وأن النزوع إلى القول بأنه أب البنيوية بسبب الأولوية التي يعطيها للسان على حساب الكلام مردها إلى الرغبة في تأهيل البحث العلمي باعتماد منهجيات ملائمة. إن التقسيم الإبيستيمولوجي بين اللسان والكلام الذي أحدثه سوسير هو عمل غير تفاضلي، وإنما هو عمل منهجي يؤسس لممارسة علمية تعالج وقائع اللسان والكلام معا، ويستشرف استواء النظام اللساني واستقراره وتصليبه، لأنه الشق الذي لم يحظ من قبل بالتركيز المطلوب والتحليل الشمولي.

الكلمات الأساسية: الكلام، البنيوية، لسانيات متعددة، القيمة، التداولية، الخطاب، البينية.

[1]E-mail: mbarek.hanoun@qu.edu.qa

"يكون على المؤلف أن يموت بمجرد ما ينتهي من الكتابة كيلا يعرقل مسار النص" أمبرطو إيكو

"سأكون مضطرا إلى الاعتراف لكم بأني أشعر برعب يكاد يكون مرضيا من الكتابة، وبأن كل تحرير علمي يسبب لي عذابا حقيقيا، وهو ما منعني من النشر منذ ثماني عشرة سنة تقريبا". من رسالة وجهها سوسير إلى شتراتبرغ

"أيمكن ألا نخون سوسير؟ قد يُستخدم سوسير للتنبيه الدائم، الذي يتعذر خرقه. إنه يمثل الوعي الشقي لدى اللسانيين مثلما كان سقراط يمثل الوعي الشقي عند الفلاسفة" أوزوولد ديكروا

مقدمة:

أرمي، في هذا البحث، إلى البرهنة، من خلال **"دروس في اللسانيات العامة"**[1] في صيغها المختلفة وتعقبها التأويلي، ومن خلال **"كتابات في اللسانيات العامة"**[2]، أساسا، على أن سوسير لساني ذو وجه واحد (وإن كان الواحد في المتعدد، والمتعدد في الواحد)، وأنه ليس فقط لسانيا "بنيويا". ويكمن مبتغاي، في ذلك، في اعتبار العالم السويسري، أولا وقبل كل شيء، مؤسسا للسانيات في اتجاهيها الكبيرين: لسانيات اللسان[3]، ولسانيات الكلام[4]؛ ليجمع، في الآن ذاته، بين كونه "بنيويا" و"غير بنيوي" فينظر إليه، تبعا لذلك، بوصفه مؤسسا للسانيات "المزدوجة" أو اللسانيات المتعددة التي تبلورت في مفهوم علوم اللغة[5].

ومن شأن العودة إلى المفاهيم "غير البنيوية" من قبيل اللغة[6] والكلام والكتابة، وكذا لسانيات الكلام، واللسانيات الخارجية، واللسانيات التاريخية،.. أن تذكرنا بأنها مفاهيم عاشرت المفاهيم "البنيوية" وتعايشت معها، ولم تنهض وتتأسس، بأي حال من الأحوال، على أنقاض بعضها البعض؛ فمثلما كانت الأطراف الأولى من الثنائيات (اللسان، والتزامنية[7]، والشكل[8]، والسكونية[9]، والداخلية[10]...) وراء تأسيس لسانيات اللسان، واللسانيات التزامنية، واللسانيات الداخلية واللسانيات السكونية،.. فقد كانت الأطراف الثانية من الثنائيات (الكلام[11]، والدياكرونية[12]، والمادة[13]، والخارجية[14]) وراء إحداث لسانيات الكلام، واللسانيات الدياكرونية، واللسانيات الخارجية.... ووراء ظهور علوم متداخلة ومتكاملة بينية. ووفقا لذلك، يكون نتاج سوسير متعدد الأصوات[15] وحواريا[16] لا أحادي الصوت. وإذا

[1] Cours de Linguistique Générale 1916/1972
[2] Ecrits de Linguistique Générale 2002
[3] langue
[4] parole
[5] sciences du langage
[6] langage
[7] synchronie
[8] forme
[9] statique
[10] interne
[11] parole
[12] diachronie
[13] matière
[14] externe
[15] polyphonique
[16] dialogique

صح ذلك، صح معه أن سوسير "بنيوي" بنفس القدر الذي هو به "غير بنيوي".[١]

ومن التقاليد التي تحجب عنا الحقائق ومراجعة تمثلاتنا أن الكتابات اللسانية، في الغرب وفي بلداننا العربية، قد عودتنا على أن ترى أن البنيوية لصيقة بالنهج "الذي يقال "إن سوسير قد اختطه"، عن قصد أو عن غير قصد (Patrice Maniglier 2005, 42; Kenji Tatsukawa 1995, 1; Arrivé 2012, 10) للسانيات في صيغتها الجديدة بدءا من النصف الأول من القرن العشرين، مثلما عودتنا على أن سوسير زعيم للبنيوية (Caputo 2017, 23) ومؤسس لها. وقد حدث هذا، ويحدث، على الرغم من انتصاب حقائق معرفية تفيد ما يلي[٢]:

(١) إن هناك أصواتا علمية قد أوضحت، غير ما مرة، أن البنيوية ليست سوسيرية (Toutain 2016, 4)، وأن السوسيرية نشاط فكري ولغوي فتح الطريق نحو البنيوية وغيرها من التيارات اللسانية والأدبية والثقافية والفلسفية.

(٢) إن سوسير ليس واضع البنيوية (وقد جعله البعض مؤسس البنيوية أو "بنيويا دون أن يدري"[٣] وإن كان كل البنيويين يصرحون بانتسابهم إليه (Sériot 1994, 21)، ومن هنا، يمكن الحديث عن سوسير المستلَب مرتين: مرة بسبب نسبة كتاب إليه مع أنه لم يكتبه، وثانية بسبب قيام يلمسليف[٤] بتجذير الأفكار المنسوبة إلى اللساني السويسري (Trabant 2013, 174-175).

(٣) إن "الأب الأول للسانيات الحديثة" لم يستعمل إلا مصطلح النسق[٥] أو "النظام"[٦] (من هنا التسمية الجميلة التي أطلقها كالفي[٧] على لسانيات سوسير أي "لسانيات النظام"[٨]، وإن كانت اللفظة تحتاج إلى تدقيق[٩].

(٤) إن البنيوية اللسانية لم يشتد عودها، ولم تستكمل بناءها النظري، على وجه الخصوص، إلا مع كل من يلمسليف وياكوبسون وتروبتزكوي[١٠] وثلة من اللسانيين من أقطار مختلفة.

وربما يعود هذا الزعم، من بين ما يعود إليه، إلى أن سوسير قد "وضع" الإطار العام للبنيوية في معالجته للغة باعتبارها نظاما مكونا من عناصر داخلية مشكلة من ماهيات وطبائع مختلفة متعالقة فيما بينها، وبتلك الصفة تشتغل وتؤدي وظائف مختلفة. ومن المعروف والمألوف أن عدة مفاهيم قد تضافرت لتسهم في صناعة مفهوم النسق، من قبيل اللسان والكلام والدال[١١] والمدلول[١٢] والقيمة[١٣] والداخل[١٤] والخارج[١] والتزامنية[٢]

---

[١] للمزيد من التوسع في الموضوع والوقوف على أهم الانتقادات، يمكن العودة إلى: Arrive, 2010، Beguelin, 2011 ،Bouquet,1998, Chiss et Puech, 1980, Stancati, 2009,Arrivé(eds)2008, Rastier (dir) 2016, Chiss, 2018 ;Fehr, 2000

[٢] يمكن تعقب التفاصيل ونقاشها المحتدم في نماذج متنوعة نذكر منها: Bouquet, 2016; Beguelin, 2011; Bouleau, 2008 Normand, 1995; Frei 1950.

[٣] انظر Mounin, G. 1968، و انظر أيضا Petroff 1999, 254 و Choi 1999, 89

[4] Hjelmeslev

[5] système

[6] ordre

[7] Calvet

[8] linguistique de l'ordre

[٩] انظر كالفي (٢٠٠٧)، و Arrivé, M. 2012:2 و انظر: Bronckart, J-P; Bulea Bronckart, E; Bota, C. (2010;15)

[10] Troubetzkoy

[11] signifiant

[12] signifié

[13] valeur

[14] interne

والدياكرونية[3] والاختلاف[4] والتعارض[5] (التقابل) وغيرها من المفاهيم. ومع أن سوسير كان يؤسس للسانيات العامة منطلقا من بعض نتائج اللسانيات التاريخية و "التصور الطبيعي" للغة (Loic Depecker 2005, 7-9; Scheer et Ségéral 2014, 5-7) و "فلسفة اللغة" (التي كانت تعنى بمبادئ اللسانيات وعمومياتها) عند هيرمان بول[6]، ويعرض (Malmberg 1991, 20-21)، بالأساس، لما يحول دون بناء العلم اللساني من مادة غير منظمة متعنتة وعصية على الفهم والإدراك والتحكم ومتعددة المداخل، ومن جهات للنظر ومنطلقات مختلطة ومتشابكة متدافعة يتعذر على المرء أن يستسهل إعطاء الأولوية لأي منطلق منها، فإن منتجه النظري لم يكن يستهدف، في منظورنا، بناء "النظام البنيوي اللساني"، على نحو صريح. ويعود ذلك، في رأينا، إلى عدة عوامل نسعى إلى الإحاطة بها وفحصها من خلال فقرات هذه الدراسة.

وفي أفق ضبط هذا التصور وإنضاجه وتسييجه بما يحصنه، سنعرض في القسم الأول (١) مدخلا مفاهيميا وتصوريا لمقاربة إشكالية فهم العمل السوسيري واستيعاب "تناقضاته"، لنعالج، في القسم الثاني (٢)، إشكالية قراءة النص السوسيري الملازم له منذ اللحظات الأولى لظهوره ونشره قبل العثور على وثائق أصيلة منها "**في الجوهر المزدوج للغة**"(Saussure, 2002)، وهو ما قد يفيد أن الذهاب إلى أن سوسير قد أسس هذا التوجه أو ذاك يستلزم، على الأقل، بعض التريث وبعض التفكير المركب. بينما نفرد القسم الثالث (٣) للفكر "النسقي" وغير "النسقي" في الإنتاج السوسيري، محاولين، من خلال كل ذلك، البرهنة على أن المفاهيم السوسيرية ليست بتلك الشفافية التي يذهب إليها البعض، وإنما هي مفاهيم ثاخنة ومركبة ومعقدة يجب تفادي الوقوع في تبسيطها، مع أنها مسيجة بتأمل وقراءات متعددة التخصصات. وفي القسم الرابع (٤)، سنتحدث عما نسميه بتوزيع الأدوار بين "شقي" اللسانيات، وقبلها بين الثنائيات علما بأن أطراف الثنائيات ليست بالتناحر والتنافي الذي تعرضه الكتابات والتأويلات الرائجة. أما القسم (٥)، فنفرده لتأويل الأولوية التي تعطى لبعض أطراف الثنائيات ولنظر لساني على حساب نظر لساني آخر، ومن ثم إيلاء الأهمية لما يسمى بـ "لسانيات اللسان".

ومن نافلة القول أن يقودنا منطق الأشياء إلى تسطير نتائج تؤكد أن سوسير ليس بنيويا ولا نسقيا على وجه الحصر، بل هو لساني بنى نظام اللسانيات المتعددة المفتوحة، ليكون بذلك الحلقة النوعية التي وضعت أولى المبادئ المؤسسة لتكامل العلوم والمعارف دونما نزوع تسلطي (Stancati, 2017 ; Fehr, ١٩٩٦)، غير أن النظام الإبيستيمولوجي السائد، آنئذ، قد قاده إلى تقديم النظرة الجديدة والبرهنة على أهميتها لأنها كانت في حكم المقصاة، ولأن نظام التفكير كان يسير وفق هذا المسار الاستدلالي الذي يحكمه الاختزال والنظرة الإطلاقية (Bronckart 2010, 7). غير أن عددا من الباحثين قد استعادوا، منذ مدة، الوعي المتمثل في مقاومة النزوع التبسيطي وتنظيف البصيرة من الغبش الذي أخفى وجود مقاربات سوسيرية أخرى (Herman Parret, 2011).

إننا أميل إلى أن أي نوع من أنواع العودة إلى سوسير وإلى مختلف كتاباته عودة تأصيلية وعودة اكتشاف ومراجعة نقدية للقراءات الأحادية الجانب، وعودة تؤكد صعوبة تجاوز سوسير، وعودة تأسيسية للمشروع السوسيري في شموليته، وإذن، القدرة على صياغة لسانيات عامة تؤطر مختلف تفريعات المجالات اللغوية.

---

[1] externe
[2] synchronie
[3] diachronie
[4] différence
[5] opposition
[6] Hermann Paul

- **مدخل تأسيسي للتصور**

ونحن ندافع عن فكرة تفيد أن وقت تخلي عدد من اللسانيين عن وضع سوسير ضمن التيار "البنيوي" قد حان صونا للحقائق العلمية والتاريخية، اعترضنا مفهوم الثنائية الذي عُد الجهاز النظري والمفاهيمي الذي كان وراء تأسيس المنظور البنيوي. فكان أن بلورنا أفكارا تخص تصورنا للثنائية. وبينما نحن نصوغ أفكارنا، داخل جو معرفي مشحون وجانح باستمرار إلى البحث للاطمئنان على صحة ما نقول به، استوقفتنا كتابات مختلفة[١]، من داخل اللسانيات ومن خارجها، يعزز بعضها المنطق الذي يحكم طريقة تفكيرنا، يجمل بنا، هنا، أن نعرض أهمها باعتباره إطارا يوجه سيرورة التفكير ومساره.

إن اللافت للانتباه هو أن سوسير شغل الناس من كل الأحقاب والأوساط العلمية والاتجاهات الفكرية، فكان مرجع اللسانيات الدائم الذي لا نتجاوزه إلا لنعود إليه. ولعل ما يجعل من سوسير محج كل الباحثين القدماء والجدد، والباحثين من كل الأصقاع والأهواء الفكرية، هو أنه أشعل نار التفكير في كل الهشيم الفكري اللغوي. ولأن سوسير متون مختلفة ومركبة ومتنافرة وغير تامة من حيث طبيعتها وزمان إنتاجها وزمان الكشف عنها، ومن حيث بنية التفكير (Bulea Bronckart; Bota 2010, 10-11)، وبالنظر إلى "الأفكار المتعارضة والمتناقضة"، فقد استقر رأي البعض على أن الحاجة ماسة إلى إعادة "تحديث سوسير"، من خلال إعادة قراءته انطلاقا من مختلف أعماله، وهذه عملية لم تحظ بالرضا بل عدت عملية مناهضة، أساسا وفي العمق، للسوسيرية ذاتها (Trabant 2005, 112).

وتُفسَّر أهم "دفوعاتي" لصالح رأي مناقض لمثل هذه الادعاءات بالركائز المنظورية التي ترى أننا عشنا حراكا لسانيا واسعا متنوع المضامين، حراكا لسانيا تعددت روافده وواجهاته وفاعلوه. هذه النوعية في النظر وفي التراكم النوعي الحاصل، والقدرة على تنسيق الأفكار والعثور على خيوطها الرفيعة الناظمة لا بد أن تحد من الهرولة الفكرية الملحوظة. ويمكن إجمال أهم أسس تلك الدفوعات على النحو التالي:

- يعد عمل سوسير، في أساسه الأول، **عملا إبيستيمولوجيا** يفحص المفاهيم ويشذبها، ويزيل ثخانتها ويرتبها، ويفتح مجاري التفكير الجديدة غير المألوفة. ولعلنا به يستبدل إبيستيمولوجيا بأخرى قطعة قطعة، وهو ما يدفعنا إلى القول بأن سوسير قد بنى **لسانياته خارج التخندق المدرسي.**
- يجب النظر إلى عمله بوصفه عملا **منهجيا تأسيسيا لنظر مستوعب** لما سبق دون أي **نزوع انتقائي أو إقصائي** يجهز على ما سبقه. وربما لهذا السبب، رأى فيه البعض أكثر من سوسير واحد، بل انجر الكثيرون إلى البحث عن سوسير "الحقيقي" و"الرسمي" و"شبه الرسمي" و"الأصيل" و"سوسير الثاني" في مقابل سوسير "الزائف" و"الوهمي" و"الميثولوجي" و"الخرافي" و"الخفي"، وسوسير "المزدوج" وسوسير "المتعدد" وسوسير "الآخر" و"سوسير ضد سوسير"[٢]. لقد تعرض "نص" سوسير للتجزيء والتفتيت والانتقاء لتفعل به الإديولوجيات والنظم الفكرية السائدة والصاعدة فعلها التطويعي الاستخدامي. وقد أنتجت مثل هذه المقاربة نظرة عن سوسير جعلت منه متناقضا وغير مفهوم (Rastier 2013, 6)، وجامعا بين "شخص نهاري عقلاني" و"شخص ليلي انقلابي". وبعبارة أخرى، فقد "عُثر" على "سوسيرين" متعددين (Wuest 1990, 336) أو ثلاثة سوسيرات (Arrivé 1986, 16-26)[١] لتبدأ "المخابرات" اللسانية فعلها من خلال "البحث عن سوسير" و"عودة سوسير" و"تجديد سوسير" و"سوسير المفقود" و"إعادة اكتشاف سوسير"... وقد كان من

[1] Bogdanka pavelin Lesic, (2017); Chidichimo (2016, 2014); Rastier (1991, 2004, 2006, 2009, 2010, 2012); Vilkou-Poustovaïa (2003)

[٢] انظر نقاشا أوسع للموضوع وتداعياته عند: Choi,1999

نتائج ذلك أن صار لكل "سوسيره" (Coseriu 2004, 19) في حين افتقدنا سوسير الكامل المقومات[۲]، وسوسير الواحد، بل افتقدنا سوسير ذاته[۳] على إثر تقديم البنيوية لسوسير على مقاسها وبالصورة التي كونتها أو روجتها عنه (Petroff 1999, 254). والأدهى من ذلك، فقد تشكل لدى البعض "سوسير مناهض لسوسير"، أو مناهض لـ "محاضرات في اللسانيات العامة" (Trabant 2005, 112) إلى درجة يحق فيها للمرء أن يتساءل "عما إذا كان من الواجب الدفاع عن سوسير من محبيه" (Trabant, 2005)، أو أن يتساءل عمن يكون مؤلف محاضرات في اللسانيات العامة (Arrive:1986, Sofia:2014).

- يمكن اعتبار **أفقه الفكري ومرجعيته العلمية** مرجعية ثرية ومتنوعة وتستلهم من تخصصات ومجالات معرفية وأنساق ثقافية وفلسفية ولغوية رحبة. وأقصد من ذلك أن تلقي سوسير كان، وما يزال تلقيا متهافتا ومشروطا بمعرفة للغة وتعقيدها وتركيبها وتنوع أشكالها واختلاف تمظهراتها، وبمختلف مقارباتها السابقة والمعاصرة له وبتعدد الرهانات. ولعل هذا ما يفسر، على الرغم من كل الادعاءات، أن سوسير لم يُتجاوز (Rastier 2006, 5).
- ينظر سوسير إلى اللغة من **زوايا نظر استعمالها ومستعمليها: تأريخية، وفيلولوجية، ومقارنة، وفلسفية، وشعرية، ونفسية، وسيميائية**، وباستحضار نقاط انطلاق متعددة، ليبدو، تبعا لذلك، وخاصة للتفكير السطحي، أن هناك أكثر من سوسير (Wuest, 1990) علما بأن وجهات النظر لا تتنافى بسبب تركيبتها ولا يحكمها منطق الإقصاء، فضلا عن أن تعدد زوايا النظر يسمح لنا بتجميع الصورة المركبة للغة والبحث عن العلم اللساني القادر على أن يدرس اللغة في شموليتها وتمامها وبكامل مقوماتها[٤]، خاصة وأن سوسير يعكس، في كل كتاباته، كل التراث اللغوي: اللساني النظامي، والمثالي، والشلايشري (نسبة إلى شلايشر الألماني)، والنحوي الجديد، والووندتي[٥]، والجغرافي اللساني، والصوتي، والمقارن ، إلخ (Wunderli 1982, 120).
- لقد عرف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حالة فكرية لسانية وظفت كل المكاسب المعرفية والعلمية وكل الاستنتاجات الفكرية لتتوج بإصدار كتاب باسم سوسير تمحور حوله النقاش[٦].

لعله بات واضحا أننا نسعى، إذن، من تثبيت هذه الأفكار، إلى أن سوسير قد كان وراء ظهور مختلف كل الاتجاهات اللسانية، ولقد تأكد، اليوم، أن **"المحاضرات"**، بسبب المناخ الفكري وتوجهاته، قد احتلت الواجهة، فغطت- أو أريد لها أن تغطي- بذلك، على سائر كتاباته المتنوعة مجالاتها. ويمكن الزعم بأن هذه المحاضرات إما أن تكون تلخيصات مكثفة لبرنامجه اللساني المتنوع، أو تثبيت نقاط قابلة للتوسيع والإنضاج. وهكذا تكون المحاضرات قد حجبت عن الباحثين كتاباته الأخرى بما فيها المخطوطات، فاختزلت أعماله، ونسي سوسير المتعدد الاهتمامات والعامل، وفق برنامج بحثي، على إنضاج رؤيته إلى اللغة ونظامها ضمن نسق أكبر وأوسع وأعقد مما جاء في المحاضرات التي ربما يكون سياقها قد فرض الاختزال والتبسيط والتلخيص، وهو ما يطبع المحاضرات الجامعية عموما. ويعود سوسير المنسي، من خلال مختلف مخطوطاته، ليصحح الرؤية ويوسعها ويُشكلها[٧] بوضع

---

١. انظر Kim Sungdo, 1990 لاستكمال تصور عما سُمي بميثولوجيا سوسير.

[2] intègre

[3] Petroff

٤ انظر CLG وانظر حنون: ١٩٨٧

[5] Wundt

٦ انظر Wunderli (1982) نقلا عن: Choi: 1999: 90

[7] problématiser

حد لعدد من الفجوات المعرفية والمنهجية. وتكشف هذه العودة عن مساوئ القراءات التبسيطية التي اختزلت لسانياته فيما سمي بـ "لسانيات اللسان". ويحضرني، في هذا السياق، ما سجله (Depecker, 2005) من أن سوسير لم يُقرأ، وأن تفكيره قد شوه، وسيء تأويله وفهمه، وهذا ما جعله يدعو، إلى إعادة قراءة سوسير من منظور جديد، ونضيف وجوب تفسير المحاضرات في أفق مختلف المخطوطات، مع التحرر من الرؤية التي ترسمت بدءا من الخمسينيات وأخضعت لها مختلف القراءات (Fehr 2001, 147) ولم يكن ذلك يهدف تأسيس سوسيرية جديدة، بل كان يهدف إلى استيعاب الفكر السوسيري في شموليته وبمرجعياته.

إن منطق التفتيت وأسلوب التفكيك المعتمدين في التحليل قد غيبا خاصية التواصل التي تسم أعمال سوسير؛ إذ تجمع بين وجهات نظر متآنسة داخل العلم العام للغة بحيث تجعل النصوص مفتوحة على بعضها البعض، فيذهب المرء، باطمئنان، إلى أن نسق سوسير الفكري والمنهجي ليس مغلقا (Wuest, 1990)، وربما بسبب "نزول" النصوص على دفعات وكثافة المعروض فيها وبمقاربات مختلفة، ظُن أن كتاب **محاضرات في اللسانيات العامة** قد كان مصدر الأزمة التي تشهدها اللسانيات كما عبرت عن ذلك الباحثة دانييل كامبارارا (Daniele Gambarara 2005, 29).

تلكم أهم أسس التصور الذي يؤطر قراءتنا، وهو تصور يبقى ناقصا ما لم يسنده فهم صحيح لمفهوم الثنائية، وإعطاء الأسبقية للسان على حساب الكلام.

إشكالية النص "السوسيري" وقابليته للتأويل:

نعتقد، أولا، بأن نص سوسير نص جمع بصيغة المفرد؛ فهو نصوص تنتسب، إلى هذا الحد أو ذاك، إلى سوسير المتعدد التام الكامل المقومات[1] وإلى المناخ اللغوي والفكري الذي تربى فيه، بل إنها تشكل نصا جامعا[2] لنصوص مكونة مختلفة صيغت على مراحل متفرقة وتبعا لحاجات واهتمامات مختلفة وللإحاطة بالموضوع الشامل والتام للسانيات العامة. وبناء عليه، فالنص "السوسيري" نص متعدد ومتوثب بحثا عن الجديد والأصيل. وبهذه الصفة الملتبسة، فهو نص مرحلة تاريخية حاسمة يعكس نقاشا واسعا وجدلا موسوعيا وعميقا وغير إقصائي حول اللغة، كان سوسير هو محوره والمتحكم فيه. وهو نص يحاول أن يصوغ، على نحو كيفي، تلك التراكمات المعرفية وتنويعات سوسير وتنوعاته المرتبطة باهتماماته ومشاغله (Chidichimo 2016, 117). ولأن بناءه مركب ومكثف ومزدحم، فهو نص قابل للتأويل، بالنظر إلى تركيبته وبنيته وتقديمه المجزأ وعلى مراحل إلى الجمهور، وبحكم تصرف تلامذته فيه على قدر أفهامهم، وما أتيح لهم ولناشري محاضراته، ووفق تطلعات شباب منفتحين وطموحين، وبالنظر إلى ثخانة النص لاعتبارات تعود إلى تنوع كتابات سوسير ذاتها وتوزعها على حقول الأدب والصواتة[3] والفيلولوجيا واللسانيات التاريخية والمقارنة واللسانيات العامة، حتى إن اسم سوسير قد اقترن بالشعرية والسيميولوجيا واللسانيات التاريخية والمقارنة واللسانيات العامة (Rastier 2004, 39; Rastier 2010, 315). (فقد كان لسانيا، وشعريا، ومؤرخا لسانيا، ومقارنا لسانيا)، علاوة على أن الرجل رجل يفكر في الأسس والمبادئ؛ أي أنه رجل فكر إبيستيمولوجي يرمي إلى التأسيس بما يفرضه ذلك من التمييز والدقة والنضج في العبارة والفكر، وعليه، الإسهام الغالب في صناعة المفاهيم في فترة فكرية ثرة وحرجة يغلب عليها طابع النقد. هذا، فضلا عن بروز

[1] intègre
[2] Architexte
[3] phonologie

بوادر "وعي تخصصي" للسانيات عرف أوجه سنة ١٩٢٨ (Puech, 2008)، وهي بوادر وعي حاد قد لا يقبل التوفيق أو التنازل، وبوادر وعي تخصصي تتراكب معه بوادر "وعي بيني لعلوم اللغة"[١].

يفرض النص الجامع، إذن، مقاربة تأويلية، سواء أكان هذا التأويل صحيحا أم فاسدا. بل إن التأويلات أصبحت جزءا لا يتجزأ منه. وهنا، ينبغي لنا أن ننبري لنؤكد أن التأويل ليس بالضرورة خطأ معرفيا، فقد ينتج معارف جديدة يكون المجتمع العلمي بحاجة إليها. وهكذا، فإن نص المحاضرات أو الكتابات قابل للتأويل دوما لعمقه وثخانته وللمستوى الفكري المتفاوت لمتلقيه، بل وحساباتهم، والظرف الفكري الذي ظهر فيه، وملابسات التدريس، والمواقع الفكرية المختلفة ودورها في التأويل وإعادة فحص لسانيات سوسير، هذا علاوة على الأسئلة اللسانية الحارقة التي تثيرها هذه الكتابات لدى متلقين متنوعي الثقافات والمعارف والهموم[٢].

وهكذا، فقد كان لسياق بناء النظرية قيده وربما وقعه الحاسم. فلم يكن بالمقدور التنبه إلى عواقب هذه الخلفيات المتباينة التي لم تسمح بفرز واضح وسريع. غير أن التلقي، لهذا السبب ولغيره، قد كان تلقيا تحكمت فيه ثقافات مهيمنة ونزوع لساني يتجه بصرامة نحو التحرر منذ مرحلة النحاة الجدد إلى درجة الحكم على هذا التلقي بالتلقي الفاسد أو التلقي الذي توجهه أهواء أو سوء فهم، خاصة وأن سوسير ينتج لغة واصفة[٣] غير متداولة وناشئة ويصعب إدراك مضمونها الجديد. ومن زاوية أخرى، فقد كان التلقي ملغما لأن المتن المعتمد متن معقد ومركب ومتنوع ومفتوح. إن النص المتصدر لأعمال سوسير نص غير "أصيل" دائما، فجزء منه من جمع طلابه وتنظيمهم له، بل لأن صياغات نص من نصوصه ليست بصياغته، وإنما تعود إلى طلابه أو إلى ناشري المحاضرات، فكان أن احتمل الدارسون إمكان تدخل "أياد غريبة" لتقوم بالصياغة المجانبة للصياغة الأصلية، بل لتحرف الفكرة الأصلية حتى غدا نص محاضراته نصا غير صاف وغير خالص، علاوة على أنه نص بقدر ما يستكمل اللسانيات في مظهرها التاريخي والمقارن بقدر ما يقطع الصلة معها. ومن هنا ظهور التباس آخر يصبح معه النص الأصلي مستغلقا. ثم جاء نص "الكتابات" ليزيد الأمر التباسا وغموضا ويهز "اليقين" اللساني و"عرش" الاتجاهات اللسانية، حتى إننا صرنا أمام "نصين" لا يتقاطعان إلا ليفترقا. لقد أربك سوسير المجتمع العالم بسبب عدم القطع مع تردده، وبسبب "نصوص داخلية" خرجت إلى العلن اضطراريا بعد وفاته.

لقد كان سوسير يعرض أفكارا متزاحمة وبطريقة غير مألوفة؛ إذ كان عرضه عرضَ لسانيٍّ وعرضَ إبيستيمولوجيٍّ: أي أنه يعرضها على نحو نقدي، يطرح الفكرة ويفككها ويمحصها ويواجهها بأفكار مختلفة من أجل توضيحها، ليستحضر فلسفة اللسانيات (أو الإبيستيمولوجيا اللسانية الداخلية التي كان يؤسسها في ذات الوقت)[٤] فيزن بها خطابه وميتا-خطابه[٥] اللساني. ومن المعروف أن سوسير قد أنكر على علوم الحياة (البيولوجيا والتشريح..) أن تُعتمد في بناء نموذج إبيستيمولوجي للسانيات (انظر محاضرات في اللسانيات العامة و(Fehr 1992, 76-77)، وربما كان لسمة أخرى أن تساعدنا على فهم هذه الالتباسات والمفارقات التي وشمت "أعمال" سوسير: فما يبنيه سوسير يبنيه بتدرج. والبناء المتدرج لا يفضي إلى أحكام نهائية أو إلى بناء نظري نهائي، وإلى حسم رياضي. إن

---

[١] انظر (Fehr 1996, 2001) وانظر أيضا (Ida Giugnatico, 2017).

[٢] لأن اللغة مجال معرفي لا شاطئ له، فقد كانت موضوعا انشغلت به علوم مختلفة قديمة وجديدة. ولأنها الوافد العلمي جديد، فقد استقطبت اهتماما خاصا.

[3] métalangage

[٤] انظر على سبيل المثال: Normand, C. (٢٠٠٠) وParret, H. (2011) وStancati, C. (٢٠٠٤)

[5] métadiscours

المفاهيم التي يبنيها مفاهيم علائقية ونسبية بحسب السياق العلمي وتطور البناء النظري والتقاطب بين القديم القوي والآيل إلى "الزوال" والحديث القادم الذي ما زال في وضع هش.

وفق هذا المنطق، فإن مشروع سوسير أو برنامجه البحثي يؤسس اللسانيات وينظمها على قاعدة اللسانيات التاريخية كما تصورها النحاة الجدد (Beguelin 2012, 77; Bari 2015, 8; Rastier 2010, 315). ولعل ذلك يعني أن "القطائع" الإبيستيمولوجية المنسوبة إلى سوسير قطائع "وهمية"؛ لأن سوسير لا يرمي سوى إلى بيان تعقد ظاهرة اللغة وتعقد علم اللسانيات وتعقد تشابكات العلوم المنشغلة بها والمتعددة. وإذا ثبت ذلك، صح معه أن سوسير جمع بين أنموذجين[1]: أحدهما بنيوي والآخر تداولي[2]، وهما أنموذجان لا يتنافيان؛ لأن التغيير الحاصل تغيير في إطار الاستمرارية، ولأن الاستمرارية الحاصلة استمرارية في إطار التغيير (Normand 1980, 272).

يجب أن ندرك أن سوسير كان بصدد صياغة برنامج بحثي تحكمه إبيستيمولوجيا برنامجية (Bouquet, 1998 ;2012; Garelli, 2003; Badir,2007: Coursil: 2003/ 2007) ومقاربات مختلفة لا يؤدي اختلافها إلى التنافي، فقد تعددت في كتاباته الأصيلة وغير الأصلية زوايا النظر التي خلقت أكثر من موضوع[1]، وحكمت على لسانياته بأن تكون منبع كل التخصصات اللسانية. وهذا ما يفسر كون خطاب سوسير قد كان خطابا مرنا غير حاسم، خطابا مفتوحا بصورة وشكل مؤقتين، خطابا غيبه تشدد الناشرين وصرامتهما مثلما غيبه المتلقون.

فلا غرو أن تكون اللسانيات التي وضعها سوسير لسانيات متنوعة ومتعددة سواء استحضرنا النصوص المكتشفة سنة ٢٠٠٢ أو استحضرنا أعماله الأخرى، أو اقتصرنا على "المحاضرات". لقد كان سوسير، وهو "يكافح" بكل ما امتلك من معرفة وخبرة، من أجل بناء اللسانيات العامة؛ مفاهيم وأدوات وخطابا واصفا، لا يقتصر على بناء علم "هنا والآن"، بل كان يضع الأساس للسانيات بقدر ما تنفصل، وتنشق وتؤسس القواعد الصلبة من الداخل، بقدر ما تؤسس للاختلاف أو على الأقل لا تسد الباب في وجهه، بقدر ما تشرعن، على الأقل، للسانيات متعددة الاتجاهات. بل إن سوسير كان يرسم ملامح هذا الاختلاف أو ملامح الاتجاهات اللسانية القادمة. وإذا علمنا أن الإشكاليات اللسانية المفتوحة قد فتحت بدورها أسئلة تعود إلى حقول معرفية أخرى لا يمكن تجاهلها، بأي شكل من الأشكال، فإن العقل الموسوعي والعقل الإبيستيمولوجي عقلان لا يختزلان العالم والوقائع مهما كان تكثيفهما لها.

ومع أن الخطاب السوسيري ثاخن وكثيف، فقد انقسمت قراءة منتجات سوسير إلى فريقين: فريق رأى في سوسير بنيويا ذا مشروع مغلق، بقدر ما عمق النظر في أمور بقدر ما كان خطابه مسطحا في أمور أخرى. عالج موضوعات كثيرة فانتقى منها قسيما، وأبعد قسيما آخر حتى بدت اللسانيات بين يديه متشظية. وفريق ثان رأى في سوسير كل المعارف اللسانية التخصصية التي ظهرت في أعقاب ظهور أعماله. إذ ملأت الساحة اللسانية كتابات ألقت على عاتقها مهمة البحث عن مقاربات أخرى غير البنيوية في ثنايا أعماله المختلفة. وهكذا، وقفت هذه الدراسات على احتضان سوسير لمقاربات سيميائية (أسطورة وخرافات)، وشعرية، ولسانيات "نظامية"، ولسانيات الخطاب، ولسانيات نصية، ولسانيات معرفية، ولسانيات نفسية، ولسانيات اجتماعية، ولسانيات تداولية، ومقاربة فلسفية، وتناول إبيستيمولوجي، ولسانيات تاريخية، ولسانيات مقارنة. وكان الفهم السابق لا يكاد يذكر لسانيات مفردة أتى على ذكرها سوسير وتحمل تسمية علم اللغة (Rastier 2013, 10-12)، لسانيات جامعة وتامة لا تشكل منها اللسانيات البنيوية إلا قسما، بل جنح إلى الاعتقاد بوجود لسانيات مزدوجة قائمة بدورها على ثنائية ضدية،

[1] paradigme

[2] pragmatique

يتباعد طرفاها ويتنافيان: لسانيات اللسان/ لسانيات الكلام، لسانيات داخلية/لسانيات خارجية، لسانيات سانكرونية/ لسانيات دياكرونية. وقد امتد هذا الفهم لينجب أفكارا غريبة من قبيل وجود لسانيتين دفعة واحدة[۲]، أو ثلاث لسانيات[۳]، أو ست لسانيات[۴] أو لسانيات علمية ولسانيات عملية[۵]، أو لسانيات الخطاب... هذا هو منطق "السوسيرين" الذي تحكم في فهم اللسانيات، وهو فهم متولد، فيما ذهب إليه راستيي عن الفكر الثنائي التقليدي (Rastier 2011).

والخلاصة هي أن النص السوسيري قد كان نصا يجمع كل التناقضات والاختلافات التي تعرفها اللسانيات الآن. فقد كان وراء إحداثها إيجابا وسلبا. بهذا المعنى، صار سوسير ملغزا: فإما أن كتاباته عبارة عن مدخل إلى اللسانيات المتعددة الحديثة، وإما أنها عبارة عن كتابات تشرع الباب للخروج منها باتجاه لسانيات منغلقة. على أننا نذهب مذهبا آخر يفيد بأن لسانيات سوسير يجب فهمها على نحو مخالف؛ فهي لسانيات جديدة توجد خارج التخندق المدرسي، لذا، كانت منطلق كل التيارات.

هكذا، يتأسس التأويل، وتتأسس معه تصورات قد تجانب الواقع والتاريخ، لأن التأويل قد اتخذ طابعا إقصائيا، وبدل البحث عن كيفية جمع المتناقضات والثنائيات وتوليفها، غلب الاختيار الانقسامي لأن القراءات كانت قراءات تبسيطية انفعالية جعلت من عطاء سوسير عطاء ضحلا أو عطاء شديد الاكتناز. وربما لا يخطئ من يصرح بأن القراءة البنيوية لسوسير قد جعلت كتاباته ضحلة، في حين رأت في أعماله اتجاهات أخرى عمقا ودسما. هكذا، هو واقع حال تلقي الفكر السوسيري: يبدو، مرة، غنيا وثرا، ويبدو، مرة أخرى، فقيرا وحسيرا.

وقد يفضي بنا منطق سرد الأفكار إلى أن نستخلص أن من تلقوا هذا الإرث الملتبس قد فرضوا علينا أن نقول إننا بإزاء سوسيرين إن لم نقل ثلاثة أو أكثر، بإزاء تعددية وجوه سوسير (Puech 2008,)، وربما يختفي وراء هذا التصرف منطق "القطيعة" الإبيستيمولوجية-بتأويلها الحدي الصارم- التي احتلت الساحة العلمية ووجهت التفكير العلمي نحو تبخيس كل الأفكار التي أثمرتها المراحل التاريخية السابقة خاصة في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

البنيوي وغير البنيوي في فكر سوسير: نظام المفاهيم وثخانتها

قبل البدء في معالجة ما إذا كان سوسير بنيويا فحسب أم لا، يجدر بنا أن نلقي نظرة نقدية على جملة الشروط التي كانت اللسانيات تمر بها في تلك الفترة، وإلقاء بعض الضوء على وضع اللسانيات في عصره. فمن شأن هذه الوقفة النقدية، في زعمي، أن ترفع عددا من الالتباسات، وأن تسهم في حسم "بنيوية" سوسير من عدمها. فمن المعروف أن اللسانيات التاريخية والمقارنة قد استنفدتا عطاءهما، وتليها النحاة الجدد مثبتين النزوع نحو دراسة اللغة، أي أن سوسير كان يعيش في وضع لساني مضطرب يهفو إلى إعداد أنموذج[۶] يدرس نظام اللغة فيسد بذلك التأخر والثغرة المعرفية والمنهجية الكبرى التي عطلت البحث التاريخي والمقارن؛ ذلك أنه قد تبدى أن تناول مراحل تاريخية من اللغة أو عقد مقارنة بين لغتين أو أكثر- أن ذلك تسبقه خطوة منهجية تتطلب معرفة النظام

---

[۱] انظر Ecrits

[۲] انظر Sechehaye.A.(1940)، و Buyssens, E.(1942) وانظر ازدواجية اللسانيات لدى Toutain, A.g.(2009:196)

[3] Sechehaye

[4] Buyssens

[5] Toutain

[6] paradigme

اللغوي المؤرخ له أو الأنظمة اللغوية المراد مقارنتها ببعضها البعض. والحال أن هذه المسألة بالذات قد شكلت نقطة ضعف اللسانيات التاريخية، ووقف الجهل بها حاجزا أمام تطور اللسانيات وتحديثها.

بناء على ما سلف، يبدو أن سوسير قد أدرك حلقة الضعف هذه والمتطلبين النظري والمنهجي المترتبين عليها، فانصب اهتمامه على سد هذه الثغرة، وفك عقدة بناء اللسانيات لإبيستيمولوجيتها الداخلية؛ أي أن انشغال سوسير المركزي قد تمثل في إنجاز مهمة الانتقال من اللسانيات التاريخية والمقارنة إلى اللسانيات العامة، وبعبارة أخرى، إنجاز مهمة الكشف عن طبيعة المؤرخ له والمقارن، وتعرف اشتغاله وآليات هذا الاشتغال مع ما يلزم من إعداد مفاهيم ومبادئ والإقدام على عملية الفرز القيصرية الضرورية، نعني بذلك الوعي بالنظام وعناصره والعلاقات بينها وتمفصلاتها لبناء "الكل"، ومن ثمة الوعي بوجه داخلي نسقي تعطاه الأولوية والأسبقية لأنه الجوهر والمنطلق نظريا ومنهجيا ولأنه يشكل السبيل المنهجي لترتيب أوضاع النظر اللساني. هذا السبق (المتطلب) النظري والمنهجي هو الذي ينبغي استحضاره أثناء معالجة قضية كون سوسير بنيويا أم لا. ولما كان سوسير يولي كل المجهود النظري والمنهجي للجانب "الداخلي"، فإنه لم يكن يقصد بناء لسانيات تدير ظهرها لماضيها بقدر ما كان يرمي إلى استكمال صرح اللسانيات العامة بالتنبيه على أن البداية يجب أن تكون من هذا "الداخل" الذي طالما "تنوسي" لأسباب مختلفة. ولعل كتابات سوسير ذات الطابع التأريخي والمقارن تؤكد أنه لم يقابل بين التاريخي والمقارن وبين النظامي تقابلا فجا يؤسس لتعارض مطلق، وأنه لم يستهدف شق اللسانيات إلى تاريخية ونظامية[١].

لعلنا نقول، من خلال ما سبق، إن المشروع البحثي لسوسير قد كان يتمحور حول إرساء أنموذج النظام الذي لا يقصي أنموذج التغيير. ومن هناك، ولهذا السبب، يصعب القول بأن سوسير يؤسس البنيوية، سواء أعلم بذلك أم لم يعلم به، بل إنه كان يرتب شؤون البيت اللساني بترميمه من الداخل حتى تغدو اللسانيات قادرة على معالجة "الداخل" و"الخارج" معا.

ومن زاوية ثانية، وبناء على ما أسلفناه، فمن المسلم به أن البنيوية ليست سوسيرية، ذلك أن الكتابات السوسيرية كتابات متعددة الخلفيات والأصول النظرية والفلسفية. فلا المحاضرات ولا التدوينات بقادرة على تقديم صورة واحدة عنه، ولا تلامذته بقادرين على رسم صورته الحقيقية من خلال كراريسهم، ولا كتاباته الأخرى بما فيها "**كتابات في اللسانيات العامة**" بقادرة على إرساء سوسير آخر. فنحن، حال حديثنا عن سوسير، تهجم علينا صورة من صور سوسير الحقيقية والمصنوعة، جزئيا أو كليا. فعن أي سوسير نتحدث عندما ننسب إليه بناء البنيوية؟

أعتقد أننا نعني سوسير في تعدده. وإذا عنيناه في تعدده هذا، فمن الأكيد أننا نجد أنفسنا أمام صور تتكامل ولا تتنافى أو تتنابز، بحيث تبرز كل صورة جانبا من جوانبه. وتبعا لذلك، يكون سوسير أكثر من واحد، وتكون أطروحته أكثر من واحدة. ونجزم فنقول إن ذلك لا يعني، بتاتا، أي صورة من صور التلفيق، وإنما يشير إلى أطروحات لم تستقر بعد وربما لما تكتمل بعد، فظلت، بذلك، قائمة.

إن المقابلات التي أقامها سوسير لم تكن، في رأينا، مقابلات تؤسس تعارضات وتقابلات وتنافيات. لذا، من الخطإ القول بأنه هو من أرسى دعائم البنيوية. لقد اعتقد عدد من الباحثين أن عدَّه بنيويا قد كان ناتجا عن تعريفه للسانيات وموضوعها (اللسان منظورا إليه في ذاته ولذاته)، فضلا عن اعتبار اللسان نسقا تتماسك داخله كل عناصره وكل أطرافه القائمة على الاختلاف، وأن قيمة كل طرف لا تتأتى إلا بالحضور المتزامن لكل الأطراف وهذا ما يحدد توازن اللسان، وأن اللسان كل منظَّم أو مبدأ منظِّم، وأن الداخلي في اللغة هو كل ما له صلة بالنسق

[١] لنكون نظرة دقيقة عن نتائج أبحاث النحاة الجدد. انظر: Ségéral . Philippe et Scheer, Tobias (2014)

والقواعد. كما يمكن ذكر مفاهيم ومبادئ أخرى من قبيل: قواعد اللعبة، ونظام الوحدات المتزامنة، والعلاقات المنطقية والنفسية الرابطة بين الأطراف المتعايشة والمشكلة للنسق، والنسق المنسجم في فترة زمنية معينة، واللسان نسق دلائل وعلامات، والتماثل والتعارض، ومعها تختفي فكرة المرجع المادي. دون أن ننسى المفاهيم التالية: الموضوع الوحيد والحقيقي والشامل، والوحدة اللغوية، ودراسة الحالة، والدراسة التزامنية، والمعيارية واللسانيات، والأساسي، والجوهر، والثابت، والنموذج، والجماعي، والتصور، والمبني (Métral 1967, 3-9).

لكن الذي لا ينبغي أن يفوتنا هو أن هذه المفاهيم والمبادئ قد حضرت في كتابات سوسير لا بوصفها مفاهيم ومبادئ لا تندرج في منظومة اللسانيات العامة إلا بإقصاء مفاهيم ومبادئ أخرى قد تنسب إلى غير النظام، بل بوصفها مفاهيم ومبادئ يمكن استعمالها وتوظيفها لتنظيم الشأن اللغوي برمته لا على أساس التمايز والتفاضل، ولكن على أساس الدور الوظيفي الذي يبرز كل الخصوصيات. وبعبارة أخرى، لقد صاغ سوسير، من خلالها، مشروعا موضوعيا وعقلانيا يباشر به المسألة اللغوية. وهكذا، انبثقت، إلى جانب هذه المفاهيم والمبادئ، ومن خلال نقاش سوسير وجداله الإبيستيمولوجي، أفكار أخرى ومفاهيم ومبادئ "منافرة" لما أدرجناه أعلاه، من قبيل: اللغة والكلام، والخطاب، والدياكرونية والتاريخية، والخارج، والكتابة، والمادة، والعرضي، والثانوي، والمتغير، والتنافر وعدم التجانس، والتعدد، والمعطى، والملموس، والمجال، والواقع، والفردي،، والصوت، ... وما إلى ذلك.

ويكون مؤدى ما حاولنا تقديمه لوحة "لسانية" تتشكل من "مفاهيم" و"مبادئ" "بنيوية وغير بنيوية": اللسان/الكلام، والمنطوق/الكتابة، والتزامنية/ التطورية والدياكرونية، والداخلية/ الخارجية، والشكل/ المادة، والجوهر/ العرضي، والوصفية/التاريخية، والمعيارية، والنسق والنظام/ التنافر واللاتجانس، والمجرد/ الملموس، والموضوع/ المجال، واللسانيات السكونية/ اللسانيات التطورية، والتصور/ الصورة الأكوستيكية، والموضوع النظري، المبني/ الموضوع الواقعي والمعطى سلفا، والنظرية / الواقع، والجماعي/الفردي، وغيرها.... هذه اللوحة تقدم صورة عن لسانيات سوسير التي يمكن وصفها بأنها "ليست بنيوية أو ليست غير بنيوية". والذين يرون أنه بنيوي يأخذون بنصف الحقيقة التي تقوم على انتقاء أطراف ثنائيات وإقصاء الأطراف الأخرى، وكأن هذه الثنائيات ثنائيات ضدية، بينما هي ثنائيات من غير تلك الطبيعة لأنها تعكس نفس الواقع الملاحظ، فانشطرت اللسانيات على يد المؤولين إلى شطرين متعارضين تعارضا مطلقا.

إن التشخيص الذي قدمه سوسير للغة تشخيص تام، وينبغي النظر إليه من خلال "تمامه" هذا، ولا يحق، بأي حال من الأحوال، تجزيء الظاهرة اللغوية وتفكيكها إلى مكوناتها المختلفة والمتفاوتة. لقد كان سوسير يؤسس لنظرية لسانية عامة، موليا الأولوية "للحلقة" الأضعف أي "المكونات المؤسسة للنظام" دونما تفضيل لها على غيرها. فهو مؤسس اللسانيات العامة ومؤسس لسانيات موحَّدة، وليس مؤسسا لاتجاه لساني أو مهندس "قطيعة" لسانية أو "منعطف" لساني مزعوم.

إن رصد الثنائيات وتفكيكها وبناء نسقيتها وترابطاتها الفكرية الداخلية لا يعني فرزها كموضوعات متقابلة ينفي أحدها الآخر، وإنما هو تفكيك يتغيا معرفة اللغة وقيود تحويلها إلى موضوع علمي وإنتاج مفاهيم وآليات إجرائية تيسر معالجة ظاهرة اللغة وتقسم العمل بين هذه الثنائيات بفرز يسند إلى كل طرف مهمة ووظيفة: الطرف الأول إلى اللسانيات الرئيسة (وهي رئيسة في الوضع المعرفي المزامن لسوسير)، والطرف الثاني إلى اللسانيات الثانوية (وهي ثانوية في الوضع المعرفي المزامن لسوسير). ربما يكون تعبير "لسانيات رئيسة، ولسانيات ثانوية" ملبسا لأنه قد يؤسس لتراتبية غير مفهومة. غير أننا نذهب مذهبا آخر. فليس في الأمر ما يؤسس لمنطق تعطى فيه الأفضلية للسانيات "الداخلية" على حساب "اللسانيات الخارجية". إن عددا من المفاهيم ينبغي ألا تقرأ إلا في نسبيتها لا في إطلاقيتها. فالمفهوم مؤطر "زمانيا"، تحيل فيه عبارة "زمانيا" على الزمان الفكري والإبيستيمولوجي.

وبعدما استوت الوضعية، وتمحورت الأبحاث على البعد الداخلي للغة، وتعرفت اللسانيات "الداخل اللغوي" انبرى البحث اللساني لينظر في "الخارج اللغوي" مزودا بما حصل عليه من هذا "الداخل ".

صحيح أن هذا التصور الخاطئ قد دعمه تأويل غير سليم لهذه الثنائيات ولطبيعتها وللأهداف التي وُضعت من أجلها: إذ أسند كل طرف من الثنائيات اتجاها من الاتجاهين. وإذا كان سوسير قد زاوج بين الثنائيات، فإنها، مع ذلك، ثنائيات لا تقوم، في تصورنا، على التنافي بل تتأسس على التكامل. أما التفاوت بينها واللاتساوي الذي ينتظمها فهما مرهونان بظرف فكري استدعى هذه التراتبية ليشتد عود اللسانيات العامة. يقول سوسير حاسما التردد: "ليس لنا الحق مطلقا في أن نعتبر جانبا من اللغة بوصفه سابقا وعاليا على الجوانب الأخرى" (CLG/E : 26) فهما يشكلان نفس الواقع الملحوظ.

من البدهي أننا نسعى، من خلال ما نذهب إليه، إلى أن للثنائيات وضعا معرفيا وعلميا بحيث إنها عبارة عن أدوات نظرية ومنهجية لبناء نظرية لسانية للسان والكلام ولتوضيح موضوع العلم ومقارباته المختلفة وكذا توضيح النظرية. وبذلك، فلا قيمة للثنائيات في ذاتها، وإنما قيمتها في تفاعلها؛ إذ تشير هي ذاتها إلى علاقة جدلية لا إلى علاقة نافية (Rastier 2009, 5). وأما الانشطار فهو محض عملية إجرائية من أجل الفهم الجيد للظاهرة اللغوية ومقاربتها المقاربة الأسلم. إن الثنائيات ليست مؤسسة للنظرية البنيوية، كما يشرعن البنيويون وجودهم، بل للنظرية اللسانية، ومن ثمة لمختلف التخصصات المندرجة تحت اللسانيات التي رأى أكثرها النور من تحت جلباب الثنائيات. أما توجيه المنتج السوسيري واختزاله إلى منتج بنيوي فهو يعود إلى السوسيريين الجدد.

وقد أثبتت الدراسات ما نقول به من حيث إن الثنائية مفهوم مركب ومعقد، ومن حيث إن الثنائيات حاضرة دوما ولا يمكن إغفالها، وأنها تشير إلى الاختلاف والتعدد لا إلى الوحدة ساعية بذلك إلى بيان الاختلاف الجوهري بين الطرفين لا بيان التعارض والتشديد عليه. إلا أن الثنائية مؤقتة وتسمح بالتقدم ولا تحمل أي حكم قيمة، ومن الضروري أن تفضي إلى التوليف. وهي لازمة للمنهج العلمي المستعمل، وعبارة عن "أدوات علمية من أجل المقارنة والفهم الجيد"[١]، إن الثنائية مفهوم إجرائي يشكل تمفصل الوحدة والثنائية والتعددية، علاوة على أن اللسان يدمج الثنائيات بحيث لا وجود له إلا بها، كما أن كل ثنائية تدمج وتندمج في ثنائيات أخرى[٢].

يتضح، إذن، أن هذا الفهم هو الفهم المطابق للوقائع اللغوية، كما عبر عنه سوسير في "**كتابات في اللسانيات العامة**"[٣]؛ بحيث إنه قد أشار إلى غياب نقطة انطلاق مركزية (ص٢٨١) لأن الموضوع اللساني موضوع تقاطعات وملتقى طرق، وإلى أن الحقائق اللغوية الأساسية الخمسة أو الستة متواشجة ولا يصح تذريرها (ص١٧)، وأن اللسانيات مجال شاسع ويشمل قسمين : اللسان والكلام (ص٢٧٣) لا قسما واحدا، وهو ما يطرح على المستوى اللساني قضية لسانيتين (ص٢٩٩) متكافئتين، وكل ما تحويه هذه اللسانيات من مكونات (صرف ونحو وتركيب وترادف وبلاغة وأسلوبية ومعجمية إلخ) يعد غير قابل للانفصام (ص٤٥).

توزيع الأدوار بين شقي اللسانيات

هناك تمايز، إذن، بين "لسانيتين" لا تتميزان إلا لتتصلا وتتكاملا. غير أن قارئ الأعمال السوسيرية في نسختها الأولى، أساسا، ينتابه، أمام وفرة الثنائيات وإرباكها الكبير للقارئ، شعور يفيد بأن كل طرف يجزئ الظاهرة اللغوية

---

[١] انظر لتكوين صورة سليمة عن مفهوم الثنائية الأعمال التالية: Ridoux, O., Viéville, T., & DE LECTURE, N. I. V. E. A. U. (2005)، و Mapendano, David (2016) و Coursil, J. (2003).

[٢] Coursil, J. 2003/2007:7-9 وانظر أيضا (Petroff 1995).انظر (Bouquet (2008

[3] Ecrits de Linguistique Générale

-وهو تجزيء يليه تركيب جديد-، وأن كل طرف يستكمل الصورة التامة للظاهرة. وأعني بذلك أن هناك تواصلا وتواددا بين الأطراف، وأن كل طرفين مشكلين لثنائية عبارة عن طريقة في الظهور والكينونة (Verleyen 2008, 135). وقد أريد لكل ثنائية بطرفيها المتوائمين، في العمق، توزيع الأدوار بين شقي اللسانيات: الرئيسي منها والثانوي. وتفاديا لأي خلط أو التباس، أؤكد أن هذه الأدوار الموزعة مؤقتة ومرتبطة ببيان الفوات بين "اللساني" و"الكلامي" وسده أو تقليص مساحته.

لقد أتاحت قراءات محاضرات سوسير لكل الباحثين في مناخ فكري يهرول نحو الجديد والحديث، فرص امتداد قراءة واحدة تنتقي من بين الثنائيات ما يحقق "الانسجام الداخلي" و"التناغم الأمثل"، وهذه، كما أسلفت، قراءة مبسطة وساذجة. لكنها، من أحد الأوجه، قراءة نبهت على أن هناك قسيمين: قسيم لسانيات اللسان، وقسيم لسانيات الكلام. وأن "**كتابات في اللسانيات العامة**" تؤكد ما ذهبنا إليه من أن هناك لسانيتين تتكاملان ولا تتقاصيان (ص ٢٧٣). وتجدر الإشارة، هنا، إلى أن الثنائيات قد عملت جميعها على تأسيس مفهوم "زاوية النظر" السوسيرية الذي مكننا من الوصول الشرعي إلى هاتين "اللسانيتين":

- **لسانيات الكلام:** وهي لسانيات سابقة في الوجود، وقد اختلطت بكل العلوم ودرست مختلف جوانب الممارسة اللغوية. إنها بمثابة رصيد معرفي جاهز ومتراكم وشديد الاختلاف والتباين ويعود إلى مجالات علمية مختلفة ومتفاوتة: منطق، وتاريخ، وعلم نفس، وفيلولوجيا، وفيزياء، وفلسفة، وسيميائيات، وفيزيولوجيا، ونحو. إنها لسانيات من سماتها الفوضى والتعقيد والتركيب.
- **لسانيات اللسان:** ميدان متميز عن العلوم، ويسند إليها دور تنسيقي وتنظيمي، وهي رصيد معرفي ناشئ يستفيد من مجالات علمية ناشئة أو بما يسمى بالعلوم الثقافية: علم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وعلم النفس. ومن سماتها الانتظام، والقوانين الداخلية، وتعزى إليها مهمة ترشيد لسانيات الكلام.

إن ما بين لسانيات الكلام ولسانيات اللسان علاقات متبادلة وتفاعلية بحيث تتوقف الواحدة منهما على الأخرى، إلا أن الخطوة الأولى هي فهم النظام من الداخل، ثم البحث عن الخارج ليضيف معلومات أخرى ولتُستكمل الظاهرة بجوانبها النسقية وغير النسقية.

لقد أفضت الثنائيات بالقارئ والباحث إلى أن يعد اللسانيات عبارة عن شقين: شق أساسي: وهو اللسان وباقي الأطراف الداعمة، وهو شق يتميز وضعه العلمي والمعرفي بالضعف والوهن، وشق ثانوي: وهو الكلام وباقي الأطراف الداعمة له، وهو شق تتميز دراسته بكونها قوية وغالبة.

غير أن سوسير لم يؤسس للسانيات اللسان فقط، بل أسس اللسانيات في بعديها اللساني والكلامي. ومؤدى هذا الكلام أن اللسانيتين تتدافعان بما يحقق تعايشهما وتساندهما إلى درجة يمكن معها الادعاء بأننا بإزاء سوسير واحد مركب لكنه منفتح على مختلف الإشكاليات اللغوية؛ أي أن تصور سوسير لأطراف الثنائيات تصور اندماجي وإن ذهب البعض، على قاعدة ذلك، إلى التمييز بين لسانيات نظرية ولسانيات عملية (ص ٤٩) داخل وجهة نظر لسانية مركبة.

مبررات الأسبقية والأهمية المقترحة للشق اللساني

لقد وقف سوسير على أن الظاهرة اللغوية متنافرة، وأنها موضوع مركب وحقل أنشطة واسعة ورحبة، وحركة سكونية وديناميةوقواعد واستعمال مطوع للغة، لتنكشف له عن أنها متعددة الأشكال ومتنوعة الأنساق لا تنقاد للعالم ولا يحيط بها ما لم يحدد زاوية النظر التي تضبط له مسبقا ما جوانب الظاهرة التي يعالجها. ولأن الظاهرة

مركبة وتستدعي زوايا نظر متعددة- وزاوية النظر تخلق الموضوع، بحسب سوسير، فقد اتضح تعذر تصور علم واحد للإحاطة بالظاهرة اللغوية في مختلف أبعادها، كما تعذر تصور علوم حليفة "للعلوم اللغوية". وحين أعد سوسير صياغة جديدة لم يكن يبلور لسانيات اللسان فحسب، وإنما كان يعد مشروع لسانيات متعددة. ولم يتغي، من بين ما تغياه، إبعاد الكلام عن اللسان، وإقصاءه من اللسانيات (Laurent Perrin). وكان راستيي (Rastier, 2015) قد نبه على أن هدف سوسير لم يكن يقضي بفك ارتباط اللسان بالكلام أو الكلام باللسان، وإنما كان يقضي بالتحديد المتبادل لبعضهما البعض بغاية إرساء تمفصلهما[١].

هكذا، أعد سوسير مشروعا لسانيا، وانتهى إلى أن اللسانيات علم مزدوج بسبب انقسامها إلى لسانيات اللسان ولسانيات الكلام[٢]، وأن اللغة "موضوع مزدوج" مكون من قسيمين لا قيمة لأحدهما بدون الآخر (Benveniste 1963, 16 [= 1966: 40]). بل إن الظاهرة اللغوية تندرج ضمن "علوم اللغة" أو اللسانيات "العامة" التي تنقسم إلى لسانيات اللسان، ولسانيات الكلام، ولسانيات سانكرونية ولسانيات دياكرونية، ولسانيات داخلية ولسانيات خارجية. لقد أكرهه تشريح واقع اللغة وتركيبتها على أن يفطن إلى أن اللسانيات شاسعة الأطراف؛ إذ تتضمن فرعين: أحدهما أقرب إلى اللسان، فيما الثاني أقرب إلى الكلام. لكنهما متلازمان لا ينفكان عن بعضهما البعض (Troubetzkoy 1964, 1; ÉLG, 273). لقد فتح الإطار النظري المؤسس على قاعدة الاعتراف بوجود الثنائيات داخل اللغة الباب أمام لسانيات الكلام.

إن قول سوسير بلسانيات اللسان لم يمنعه من أن يخص الكلام بلسانيات، وهو الأمر الذي يؤكد مشروعية وجود لسانيات الكلام التي تعود إلى احتساب الكلام من دائرة النشاط اللساني فيعده موضوعا من "موضوعاتها". كما تعود هذه المشروعية إلى التداخل العميق بين اللسان والكلام وتوقف أحدهما على الآخر[٣]. إن اللسان والكلام ليسا موضوعين متنافيين ولا ينبغي بناء عازل مزعوم بينهما، فهما معا بمثابة وجه الورقة وظهرها، بل هما موضوعان متداخلان ويشترط أحدهما الآخر، وتفاعلهما هو الذي يشكلهما باعتبارهما مختلفين وغير منفكين (Petroff, 1995). يقول سوسير، في هذا الصدد: "لم يوضع اللسان إلا ليستعمل في الخطاب، لكن ما الذي يميز الخطاب عن اللسان، أو ما الذي يسمح، في لحظة من اللحظات، بالقول بأن اللسان قد بدأ يشتغل كخطاب" (ELG). وبالإضافة إلى ذلك، فإن حرمة اللسانيات واستقلاليتها لن يؤسسها الكلام بل اللسان لأن اشتراط النظام[٤] قد جاء في مقابل الفوضى[٥]؛ أي أن اشتراط النظام يأتي لحسن اعتبار الاستعمال، وكيلا يستفرد علم حليف باللغة في حالة عدم تمكينها من أدوات منهجية وتصورية لا يتيحها سوى اللسان. وقد ذهب بعض اللسانيين إلى القول بأن كل تجليات التعبير اللغوي تشكل الكلام، وأنها كلها تشكل اللسان وذلك بسبب أنهما معا يحتويان على النسق المبدع الذي حولهما إلى الإمكان باعتبارهما من تجليات التعبير[٦].

ومن جهة أخرى، فإن الأمر يتعلق بتقسيم للعمل متكافئ بحيث لا توجد هرمية بين اللسان والكلام، وإن أُعطيت الأولوية للسان التي يمكن تفسيرها وتسويغها. فهي تشير، من جهة، إلى صعوبة مقاربة الكلام دون مقاربة اللسان، وإلى ضرورة معرفة النظام قبل الاستعمال ذلك أن الاستعمال استدعاء لتدخل عوامل مختلفة، وكذا معرفة

---

[١] انظر أيضا (١/٩) Laurent Perrin, 2017.p.

[٢] انظر Ecrits de Linguistique Générale

[٣] وانظر أيضا (Troubetzkoy, 1964, 1). انظر (Bari وPetroff) وانظر لمزيد من التوسع Wunderli (2016) و (Bari)

[4] ordre

[5] desordre

[٦] انظر (La Fauci, Nunzio, 2005) وانظر أيضا (Irina Vilkou-Pustovaïa: 2002)

الاستعمال في النظام. إن الكلام لا يستقيم دون لسان وقواعد، ولا يستقيم التحقيق دون معرفة المحقق، والعملية التواصلية تقتضي لسانا وتحيينا[1] للسان: اللسان يتحين ويتحقق بالكلام. لعلنا، بهذه الإشارات، ننبه على أن سوسير يدخل الكلام في اللسان؛ أي في النظام. ولعل ذلك يدل على أن الهوية العلمية للسانيات لا تتأتى إلا باستقلاليتها عن الدراسات الفيلولوجية والطبيعية. ويمكن أن نضيف إلى مقتضيات أولوية اللسان النظرية والمنهجية مقتضى آخر تكثفه أبعاد بيولوجية وجينية ونفسية وتحليل-نفسية.

لهذه الأسباب، نُظر إلى اللسانيات باعتبارها علم (علوم) المركب والمعقد، عليها أن تحرص على استقلاليتها الفكرية على نحوين متضافرين: استقلال متعلق وتعلق مستقل، وأن تنظم تدخلها باستحضار مجموعة من الهموم: هم بناء المفاهيم والتصورات (ابيستيمولوجيا نقدية)، وأن تعرف كيف توزع الأدوار والمساهمات على العلوم الحليفة. وبالنظر إلى أن اللسان والكلام لا يتقاصيان، فمن البدهي ألا تتعارض اللسانيتان وألا تتنافيا، وإنما تتكاملان وتتمفصلان على نحو معقد وإشكالي (Laurent Perrin, 2017). ومن هذا المنظور، فإن المشروع السوسيري يخص لسانيات من طابقين أو ذات وجهين، لسانيات تنظر بالطبع فيما يتحدر من السنن (الشفرة) اللغوي باعتباره نسقا، لكن دون أن ننسى ارتباطه بكل ما هو إجرائي أو قولي يحصل بفعل اللسان، وإن كان يخص ممارسة الكلام وتجربته(Laurent Perrin, 2017).

بالاستناد إلى ما سبق، يتبدى أن سوسير ليس الأب الشرعي للبنيوية فحسب مثلما حوله البعض إلى بنيوي رغم أنفه، وإنما هو أب شرعي للتيار البنيوي والتيار غير البنيوي على حد سواء، فيكون بذلك مؤسسا للسانيات المتعددة، ومتعدد الأصوات لا أحادي الصوت. ومثلما أفضت لسانيات سوسير إلى اللسانيات البنيوية أفضت كذلك إلى لسانيات نصية ودراسة تداولية للخطاب وتداولية مندمجة[2].

خاتمة:

حاولنا، في هذا البحث، توضيح فرضيتنا القاضية بأن سوسير ليس بنيويا وبأن عمله يندرج في سياق تأسيس لسانيات عامة تحيط بالظاهرة اللغوية بما يلزم من احتياطات منهجية وتصورية، وذلك بالاستناد إلى مجموعة من العوامل المرتبطة ببرنامجه البحثي والأسس الفكرية التي يمتح منها، وبحجج مستمدة من بنية عمله في تمامه، وبفهم نظام الثنائيات وعمله وتوظيفه في السجال السوسيري، وطبيعة اللغة المعقدة والمتأرجحة بين النظام والفوضى، وطبيعة المناخ الفكري ومميزاته، وخصوصيات نشر أعماله، وتناسل التأويلات والقراءات المتدافعة العائدة إلى خلفيات فكرية وإيديولوجية.

وعلى إثر مسار تحليلي شمولي ونقدي، استطعنا أن نؤكد رأينا القاضي بأن سوسير كان وراء تأسيس كل المدارس اللسانية، وأن النزوع إلى القول بأنه أب البنيوية بسبب الأولوية التي يعطيها للسان على حساب الكلام مردها إلى الرغبة في تأهيل البحث العلمي باعتماد منهجيات ملائمة. إن التقسيم الإبيستيمولوجي بين اللسان والكلام الذي أحدثه سوسير هو عمل غير تفاضلي، وإنما هو عمل منهجي يؤسس لممارسة علمية تعالج وقائع اللسان والكلام معا، ويستشرف استواء النظام اللساني واستقراره وتصليبه، لأنه الشق الذي لم يحظ من قبل بالتركيز المطلوب والتحليل الشمولي.

[1] actualization

[2] ينظر راستيي ۲۰۱۵، وخصوصا الفصل المعنون: سوسير والنصوص.

المصادر و المراجع:

حنون، مبارك (١٩٨٧). **مدخل للسانيات سوسير**. دار توبقال. الدار البيضاء. المغرب.

References

Arrivé, M. (2008). *Du coté de chez Saussure*. Editions Lambert-Lucas. Limoges.

Arrivé, M. (2010). Saussure: un langage sans voix?. *Rivista Italiana di Filosofia del Linguaggio*, (3), 27-38.

Arrivé, M. (2011). Un moment important dans l'histoire des sciences humaines: l'oeuvre de Ferdinand de Saussure.

Arrivé, M. (2012). " Conscience de la langue" et inconscient chez Ferdinand de Saussure. *La célibataire*, (24), 107-124.

Arrivé, M., (1986). Intertexte et intertextualité chez Ferdinand de Saussure?, in, Theis, R. et Th. Sieppe, eds, *Le plaisir de l'intertexte,* Peter Lang, pp. 11-36.

Arrivé, M., (2007). *À la recherche de Ferdinand de Saussure*, Paris, PUF, Coll. Formes Sémiotiques.

Badir, S. (2007). Pour une sémiotique indisciplinée.

Bari, N. (2015). Problèmes de linguistique: pour une herméneutique saussurienne. *Sciences, Langage et Communication*. Volume 1, No. 1.

Béguelin, M. J. (2011). Linguistique de la langue et linguistique de la parole. *G. Corminboeuf & M.-J. Béguelin, éds. Du système linguistique aux actions langagières. Mélanges en l'honneur d'Alain Berrendonner. Bruxelles: De Boeck-Duculot*, 641-661.

Béguelin, M. J. (2012). La place de la grammaire comparée. *Langages*, (1), 75-90.

Benveniste, E. (1963). Saussure après un demi-siècle. *Cahiers Ferdinand de Saussure*, (20), 7-21.

Blanchet, P., Calvet, L. J., & de Robillard, D. (2007). *Un siècle après le Cours de Saussure: la linguistique en question*. L'Harmattan.

Bogdanka, P. L. (2017). Ferdinand de Saussure: le Cours de linguistique générale, source inépuisable d'idées et de concepts pour la recherche du langage. *Francontraste 3: Structuration, langage et au-delà. Tome 2: Sciences du langage*, 291-304.

Bouleau, N. (2008). Du pluralisme dans la science.

Bouquet, S. (1998). Les deux paradigmes éditoriaux de la linguistique générale de Ferdinand de Saussure. *Cahiers Ferdinand de Saussure*, (51), 187-202.

Bouquet, S. (2008). Ontologie et epistemologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure. *Texto! Juillet*, Vol. XVIII, No 3.

Bouquet, S. (2012). Principes d'une linguistique de l'interprétation: une épistémologie néosaussurienne. *Langages*, (1), 21-33.

Bronckart, J. P. (2010). *Le projet de Ferdinand de Saussure*. E. Bulea, & C. Bota (Eds.). Geneva: Droz.

Buyssens, E., (1942). Les six linguistiques de F. de Saussure, in Les *Langues Vivantes*, No. 1, pp. 15-23 et No. 2, pp. 46-55.

Calvet, L. J. (2007). Pour une linguistique du désordre et de la complexité. *Carnets d'atelier de sociolinguistique*, *1*, 1-67.

Caputo, C. (2017). Saussure et la science du langage. *Semiotica*, *2017*(217), 13-28.

Chidichimo, A. (2014). Variantes Saussuriennes: écriture, recherche, style dans les manuscrits de Ferdinand de Saussure. *Recherches sémiotiques/Semiotic Inquiry*, *34*(1-2-3), 113-136.

Chidichimo, A. (2016). *Saussure et la temporalité. In History of Linguistics 2014: Selected papers from the 13th International Conference on the History of the Language Sciences (ICHoLS XIII)*, Vila Real, Portugal, 25–29 August 2014 (Vol. 126, p. 191). John Benjamins Publishing Company.

Chiss, J. L., & Puech, C. (1980). Quelle histoire de la linguistique? La «coupure» saussurienne. *Histoire Épistémologie Langage*, *2*(2), 75-85.

Chiss, J. L., & Puech, C. (1995). La linguistique structurale, du discours de fondation à l'émergence disciplinaire. *Langages*, (120), 106-126.

Chiss, J.L. (2018). *La culture du langage et les ideologies linguistiques*. Lambert-Lucas. Limoges.

Choi, Y. H. (1999). Le retour à Saussure. *Cahiers Ferdinand de Saussure*, (52), 89-98.

Coseriu, E. (2004). Mon Saussure. R. Van Deyck, R. Sornicola et J. Kabatek (éds), La variabilité en langue. *Langue parlée et langue écrite dans le présent et dans le passé (Studies in language 8)*, pp. 17-24.

Coursil, J. (2003). Dualités intégrés: le maître argument saussurien. *J.-P. Bronckart*.

De Saussure, F. (1969). *Cours de linguistique generale: 3e ed.* Payot.

Depecker, L. (2005). Un autre Saussure. *L'information grammaticale*, *105*(1), 7-14.

Fehr, J. (1992). «LA VIE SÉMIOLOGIQUE DE LA LANGUE» ESQUISSE D'UNE LECTURE DES NOTES MANUSCRITES DE SAUSSURE. *Langages*, (107), 73-83.

Fehr, J. (1996). Saussure: cours, publications, manuscrits, lettres et documents. Les contours de l'œuvre posthume et ses rapports avec l'œuvre publiée. *Histoire épistémologie langage*, *18*(2), 179-199.

Fehr, J. (1999). Interceptions et interférences: la notion de "code" entre cryptologie, télécommunications et les sciences du langage. In *Selected papers from the Eighth International Conference on the History of the Language Sciences.* pp. 14-19.

Fehr, J. (2000). Saussure entre linguistique et sémiologie, trad. *Pierre Caussat, Paris, PUF, coll.*

Fehr, J. (2001). Ferdinand de Saussure et l'interdisciplinarité des sciences du langage: introduction au Colloque. *Cahiers Ferdinand de Saussure: Revue suisse de linguistique générale*, (54), 147-153.

Frei, H. (1950). Saussure contre Saussure?. *Cahiers Ferdinand de Saussure*, (9), pp. 7-28.

Gambarara, D. (2005). Un texte original Présentation des textes de F. de Saussure. *Cahiers Ferdinand de Saussure*, (58), 29-41.

Garelli, J. (2003). Perplexité de Saussure. *Archives de philosophie*, *66*(1), 89-117.

Giugnatico, I. and Lemay,V. (2017). Et si on entrait dans la 'danse' de l'interdisciplinarité ? *TrajEthos*, *6(1),* 5-10.

Hanoun, Mubarak (1987). *madkhal lilsāniāt Saussure*. Dar Tubqal. al-Dar al-Bayda. Morocco.

Kyheng, R. (2005). Langue et parole: dichotomie ou dualité. Vol. X, No.4.

Kyheng, R. (2008). Comment a été conceptualisé le terme de parole. *Édition génétique du feuillet*, *176*.

La Fauci, Nunzio. (2005). Facettes de linguistique rationnelle.

Malmberg, B. (1991). *Histoire de la linguistique: de Sumer à Saussure*. Paris: Presses universitaires de France.

Maniglier, P. (2005). Les choses du langage: de Saussure au structuralisme. *Figures de la psychanalyse*, (2), 27-44.

Mapendano, D. (2016). La dualite comme notion 'fugs' en sciences mathematiques. *International Journal of Innovation and Scientific Research.*

Matsuzawa, K. (2012). Puissance de l'écriture fragmentaire et «cercle vicieux». Les manuscrits de De l'essence double du langage de Ferdinand de Saussure. *Genesis. Manuscrits–Recherche–Invention*, (35), 41-58.

Métral, J. P. (1967). Remarques sur les grandes dichotomies saussuriennes. *Bulletin CILA (Commission interuniversitaire suisse de linguistique appliquée)(«Bulletin VALS-ASLA» depuis 1994)*, *3*, 3-9.

Mounin, G. (1968). *Ferdinand de Saussure ou le structuraliste sans le savoir*. Edition Seghers.

Normand, C. (1978). Langue/parole: constitution et enjeu d'une opposition. *Langages*, (49), 66-90.

Normand, C. (1980). Comment faire l'histoire de la linguistique. *Linx*, *1*(2), 271-288.

Normand, C. (1995). La coupure saussurienne. *Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre*, (7), 219-231.

Normand, C. (2000). *Saussure* (Vol. 24). Belles lettres.

Parret, H. (2011a). Le fondement impensable de la théorie linguistique saussurienne. *AS-Actes Sémiotiques*.

Parret, H. (2011b). Les grandeurs négatives: de Kant à Saussure. *Nouveaux actes sémiotiques*.

Perrin, L. (2017). «Petit plaidoyer en faveur d'une linguistique de la parole inspirée de Saussure (Une analyse linguistique et neurophysiologique de la phrase comme forme énonciative)»

Communication donnée dans l'atelier de Jacques Moeschler, La pragmatique et le paradigme saussurien : différence, convergence, complémentarité ou incompatibilité ?, au colloque Le Cours de Linguistique Générale, 1916-2016. L'émergence, Genève, 9-13 janvier.

Pétroff, A. J. (1995). L'ordre et le désordre: l'interaction langue<=> parole. *Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre*, (7), 369-385.

Pétroff, A. J. (1999). Lalangue, L'ordreetle Désordre: Les analyses de Ferdinand de Saussure. *Cahiers Ferdinand de Saussure*, (52), 253-282.

Pétroff, A. J. (2004). *Saussure, la langue, l'ordre et le désordre*. Editions L'Harmattan.

Puech, C. (2000). 7. Saussure: réception et héritage. L'héritage linguistique saussurien: Paris contre Genève. *Modèles linguistiques*, *21*(41), 79-93.

Puech, C. (2008). Qu'est-ce que faire l'histoire du «récent»?. In *Congrès Mondial de Linguistique Française* (p. 094). EDP Sciences.

Puech, C. (2013). L'esprit de Saussure: reception et héritage (l'héritage linguistique saussurien: Paris contre Genève). *Dossiers d'HEL*, *3*, 1-9.

Rastier, F. (1991). La croisÃ© e des chemins. Situation de la linguistique. *Dilbilim*, (10), 75-90.

Rastier, F. (2004). Sciences de la culture et post-humanité. *Texto [en ligne], disponible sur: http://www. revuetexto. net/Inedits/Rastier/Rastier_Post-humanite. html (consultée le 11/01/2007)*.

Rastier, F. (2006). Saussure au futur. Ecrits retrouvés et nouvelles réceptions. *La linguistique*, *42*(1), 3-18.

Rastier, F. (2009). Saussure et les textes. *línea]*, *XIV-n*, *3*.

Rastier, F. (2010). Saussure et la science des textes. *J.-P. Bronckart, E. Bulea & C. Bota (éds), Le projet de Ferdinand de Saussure, Genève/Paris: Droz*, 315-333.

Rastier, F. (2011). Langage et pensée: dualisme cognitif ou dualité sémiotique?. *Intellectica*, *56*(2), 29-79.

Rastier, F. (2012). Lire les textes de Saussure. *Langages*, (1), 7-20.

Rastier, F. (2013). De l'essence double du langage, un projet révélateur. *Arena Romanistica*, *12*, 6-28.

Rastier, F. (2015). *Saussure au futur*. Les Belles Lettres.

Rastier, F. (2016). *De l'essence double du langage et le renouveau du saussurisme*. Lambert-Lucas. Limoges.

Redard, G. (1978). Deux Saussure?. *Cahiers Ferdinand de Saussure*, (32), 27-41.

Ridoux, O., & Viéville, T. (2005). À propos de dualités en sciences et technologies de l'information et de la communication. *Interstices*.

Saussure, F. M., Bouquet, S., & Weil, A. (2002). *Écrits de linguistique générale*. Gallimard.

Scheer, T., & Ségéral, P. (2014). L'actualité des néogrammairiens. In *Journée d'étude sur l'Actualité des Néogrammairiens de la Société de Linguistique de Paris*.

Sechehaye, A. (1940). Les trois linguistiques saussuriennes. *Vox romanica*, *5*, 1.

Sériot, P. (1994). L'origine contradictoire de la notion de système: la genèse naturaliste du structuralisme pragois. *Cahiers de l'ILSL*, *5*, 19-56.

Sofia, E. (2012). Quelques problèmes philologiques posés par l'œuvre de Ferdinand de Saussure. *Langages*, (1), 35-50.

Sofia, E. (2014). Qui est l'auteur du Cours de linguistique générale?. *Recherches sémiotiques/Semiotic Inquiry*, *34*(1-2-3), 39-57.

Sofia, E. (2017). Système et systématicité chez Ferdinand de Saussure. *Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre*, (74), 129-148.

Stancati, C. (2004). Saussure à l'ombre des philosophes. Quelle philosophie pour la linguistique générale?. *Cahiers Ferdinand de Saussure*, (57), 185-207.

Stancati, C. (2009). Histoire et épistémologie des sciences du langage. *Cahiers de l'ILSL*, (26), 61-72.

Stancati, C. (2017). Saussure: épistémologie interdisciplinaire et ontologie des relations sociales. *TrajEthos*, 6(1), 43-57.

Sungdo, K. (1990). Le Mythologue Saussure est-il encore Saussure? Essai d'interprétation sur la mythologie saussurienne. *Linx*, *22*(1), 129-144.
Tatsukawa, K. (1995). Louis Hjelmslev le véritable continuateur de Saussure. *Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre*, (7), 479-487.
Tatsukawa, K. (1997). Sous le signe de Saussure: La correspondance L. Hjelmslev-E. Benveniste (1941-1949). *Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre*, (9), 129-141.
Toutain, A. G. (2009). Valeur et fonctionnement: nouveauté, enjeux et fécondité de la définition saussurienne de la langue, ou de l'actualité scientifique de Saussure. *Letras et letras*, *25*(1), 177-198.
Toutain, A. G. (2014). *La rupture saussurienne: L'espace du langage*.
Toutain, A-G. (2016). Communication donnée dans la session de Christian Puech, L'héritage de Saussure: Saussure, saussurismes, structuralismes, au colloque Le Cours de Linguistique Générale, 1916-2016. Le Devenir, Paris, 15-17 juin 2016. https://boris.unibe.ch/111167/
Trabant, J. (2005). Faut-il défendre Saussure contre ses amateurs? Notes item sur l'étymologie saussurienne. *Langages*, (3), 111-124.
Trabant, J. (2013). Saussure contre le Cours. *Arena Romanistica*, *12*, 194-205.
Troubetzkoy, N. S. (1949). Principes de phonologie, traduits par J. *Cantineau, Librairie C. Klincksieck, Paris*.
Turpin, B. (1995). Discours, langue et parole dans les cours et les notes de linguistique générale de F. de Saussure. *Cahiers Ferdinand de Saussure*, *49*, 251-266.
Verleyen, S. (2008). Les avatars d'une dichotomie saussurienne: synchronie et diachronie dans les théories modernes du changement linguistique. *Travaux de linguistique*, (2), 133-153.
Vilkou-Poustovaïa, I. (2003). À propos de Ferdinand de Saussure. *La linguistique*, *39*(1), 151-156.
Wüest, J. (1990). La linguistique de la parole. *Sprachtheorie und Theorie der Sprachwissenschaft, Recueil des hommages à Rudolf Engler*, 325-337.
Wunderli, P. (1982). Problèmes et résultats de la recherche saussurienne. *Cahiers Ferdinand de Saussure*, (36), 119-137.
Wunderli, P. (2016). Ferdinand de Saussure: le signe. *Louis Hébert (dir.), Signo [en ligne]*.

HOW TO CITE THIS ARTICLE
Hanoun, Mbarek (2019). They Have Claimed that Saussure is a Structuralist! *Language Art*, 4(3): 47-68, Shiraz, Iran. [in Arabic]
DOI: 10.22046/LA.2019.15
URL: https://www.languageart.ir/index.php/LA/article/view/145

Language Art, 4(3): pp. 47-68, 2019, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2019.15 DOR: 98.1000/2476-6526.1398.4.47.12.3.1575.32
فصلنامه هنر زبان، دوره ۴، شماره ۳، سال ۲۰۱۹، از صفحه ۴۷ تا ۶۸

ادعا می‌کنند سوسور ساختارگراست!

دکتر مبارک حنون[1]
استاد زبان‌شناسی، دانشکده هنر و علوم عربی،
گروه زبان، دانشگاه قطر، دوحه، قطر.

(تاریخ دریافت: ۲۹ اردیبهشت ۱۳۹۸؛ تاریخ پذیرش: ۲۲ تیر ۱۳۹۸؛ تاریخ انتشار: ۸ شهریور ۱۳۹۸)

این پژوهش ادعا دارد که سوسور ساختارگرا نیست و کار او در گستره‌ی زبان‌شناسی عمومی قرار می‌گیرد و با پدیده‌ی زبانی در ابعاد مفهومی و روش‌مند برخورد می‌کند. این مطالعه بر مجموعه‌ی عوامل مربوطبه برنامه‌ی پژوهشی او و بنیان‌های ذهنی القاکننده‌ی آن شکل می‌گیرد. هم‌چنین، این پژوهش به مباحث برگرفته‌از ساختار کلی کار او، درک نظام دوگانه، عملکرد و کاربرد گفتمان سوسور، به‌همراه زبان پیچیده‌ی متغیر این نظام میان نظم و بی‌نظمی، می‌پردازد. این مطالعه ماهیت فضای ذهنی و ویژگی‌های آن و نیز تفسیرها و خوانش‌های مقابلِ مبتنی‌بر پس‌زمینه‌های ایدئولوژیکی و ذهنی را مدنظر قرار می‌دهد. این مطالعه رویکرد تحلیل انتقادی جامعی دارد و خواننده را به‌سوی تأکیدبر این موضع رهنمون است که سوسور از بنیان‌گذاری مکاتب زبان‌شناسی بسیار فاصله دارد و اطلاق نام پدر ساختارگرایی به وی (به‌خاطر اولویتی‌ست که او به‌جای گفتار به زبان داد)، این نام به‌دلیل علاقه‌ی او برای ارتقای پژوهش علمی ازطریق اتخاذ روش‌های مناسب صورت گرفته است. دوگانگی معرفت‌شناختی زبان و گفتار که نخستین‌بار سوسور آن را مطرح کرد، کار متمایزی نیست. کار او بیش‌تر نظام‌مند است زیرا شیوه‌ای علمی را بنانهاده که ازطریق آن واقعیت‌های زبان و گفتار را مدنظر قرار می‌دهد و لایه‌بندی، استحکام و یکپارچگی نظام زبانی را نشان می‌دهد. این امر به‌این‌دلیل جنبه‌ی مهمی پیدا کرده است که تا آن زمان به میزان کافی به آن توجه نشده بود و موردتحلیل جامع قرار نگرفته بود.

واژه‌های کلیدی: گفتار، ساختارگرا، چندزبانی، ارزش، بحث، گفتمان، رابطه‌ها.

[1] Email: mbarek.hanoun@qu.edu.qa

Language Art, 4(3): pp. 47-68, 2019, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2019.15 DOR: 98.1000/2476-6526.1398.4.47.12.3.1575.32
Article No.: 43.31.139805.4768

ORIGINAL RESEARCH PAPER

They Have Claimed that Saussure is a Structuralist!

Dr. Mbarek Hanoun [1]
Professor of Linguistics, College of Arts and Sciences-Arabic, Language Department, Qatar University, Doha, Qatar.

(Received: 19 May 2019; Accepted: 13 July 2019; Published: 30 August 2019)

This research assumes that de Saussure is not structuralist and that his work falls within the scope of establishing General Linguistics addressing the linguistic phenomenon with the required methodical and conceptual dimensions. The study is based on a set of factors related to his research program and the intellectual foundations inspiring it. The study also draws on the arguments derived from the structure of his entire work, the understanding of the binary system, its operation and use in the Saussurean discourse, along with the complex language of the system that varies between order and disorder. The study also takes account of the nature of the intellectual climate and its characteristics, as well as the competing interpretations and readings due to intellectual and ideological backgrounds. The study is guided by a comprehensive and Critical Analysis approach, conducive to confirming the position that de Saussure was behind establishing all the schools of Linguistics, and that the tendency to call him the father of structuralism (because of the priority granted to langue at the expense of parole) is due to his desire to upgrade scientific research through adopting appropriate methodologies. The epistemological dichotomy of langue and parole put forth by de Saussure is a non-differential move. It is rather systematic work that establishes a scientific practice which addresses the facts of both langue and parole and envisages the leveling, stability, and consolidation of the linguistic system. This is because it is the aspect that has not received the required focus and comprehensive analysis.

Keywords: Speech, Structuralist, Multiple Linguistics, Value, Deliberation, Discourse, Interfaces.